الفصل السادس

الشعر إلى آخر بنى أمية

١ — إلى عبد العزيز بن مروان :

لعلك تحس بشيء من العجب إذ ترى الشعر متخلفاً عن ركب العرب الذين جاءوا إلى مصر فاتحين ؛ فليس فى آثار القوم الأدبية شيء من الشعر فى وصف فتوحهم العظيمة ، وليس فيما عندنا مقطوعة منه يفخرون فيها بهذه الفتوح ، ولا قصيدة يذكرون فيها شيئاً صادفهم ؛ مما يلفت النظر ، ويثير الخيال ، ويبعث ويبعث الدهش . وما أكثر ما صادفهم من ذلك فى هذه البلاد !

ولا أظن أن جيش هؤلاء الفاتحين خلا من شعراء تهزهم غرابة الحوادث ، أو يفتنهم جمال المناظر ، أو يشوقهم ماخلفوا وراءهم من أحباب وأوطان وذكريات . فما الذى جعل الأدب العربى فى مصر إلى عهد معاوية خالياً من آثار الشعر ، لا نجد منه قصيدة أو مقطوعة ؟ وما نجده إلى عهد عبد العزيز قليل جداً ؟

قد يرجع ذلك إلى ما أصاب الشعر العربى كله من فتور وضعف فى صدر الإسلام ؛ إذ شغل المسلمون بالدين وبالفتوح ، وبما يناسبهما من دراسة وخطابة وكتابة . ولكن الدين والفتوح لا يحاربان الشعر فى جملته ، ولا يقضيان عليه من حيث هو شعر ، بل إن فى الدين والفتح قوة عظيمة تدفع إلى الشعر ، وتحمل على الإجادة فيه ، ولكن الذى حدث فعلا أن أصيب الشعر العربى بذهول وفتور من أول الإسلام إلى عهد الأمويين تقريباً ، على أنه ظل محتفظاً بشيء من السلامة

والعافية فى بيئته العربية ؛ فى الحجاز ، وفى بعض الأماكن التى نزلها العرب كالعراق والشام . وكان هناك من يحتفظ بشاعريته ، ويحاول أن يثبت وجودها بين حين وحين ؛ مثل حسان ، وأبى محجن الثقفى ، والحطيئة وغيرهم . لكن الظروف التى هيأت للشعر أن يحيا حياة طيبة فى الجاهلية ، وفى عهد بنى أمية ، لم تتوفر فى تلك السنين التى بينهما .

ولا أظن هذه الفترة فى تاريخ مصر ، من عهد عمرو إلى عبد العزيز بن مروان ، قد أقفرت من شعراء سجلوا خواطرهم ومشاعرهم ؛ فى زمن الفتح ، وفى الثورة على عثمان ، وفى النزاع بين على ومعاوية ، وفى عهد الدولة السفيانية .

وقد نسب إلى عمرو نفسه أنه كان يقول الشعر ، وأن نفسه كانت نفس شاعر ، وكذلك كان أسلوبه . وكان عقبة بن عامر والى مصر لمعاوية سنة ٤٤ « قارئا فقيها شاعراً ، له الهجرة والصحبة[١] » ، ولكنه لم يخلف بيتاً واحداً ، وربما منعه من قول الشعر بالفسطاط ، ما منع لبيداً قبله بالكوفة ، لأن الله قد أبد لهم خيراً منه وهو القرآن .

وأيّاً ما كان فإن رواية الشعر فى مصر كانت قليلة ، وكان للرواة مواطن أشهى وأعمر من مصر . فلم يبق من هذه الفترة إلا أبيات قليلة نسبت إلى شعراء مغمورين .

وقد تجد بيتاً أو بيتين أو ثلاثة ، تجهل قائلها ، أو تضل فى قراءتها ، ويخفى عليك معناها لانفرادها ، أو لغموض الظرف الذى أحاط بها .

وبقى من هذا القليل المفهوم بيت رجز أو بيتان ، من العهد الأول :

فقد غزا عبد الله بن سعد الأساود حتى بلغ دُمْقُلة سنة ٣١ فقاتلهم قتالا شديدا ، وهادنهم بعد ذلك ، فقال شاعرهم :

لم ترَ عينى مثلَ يومِ دُمْقُله والخيلُ تعدو بالدروع مُثْقَله[٢]

(١) الولاة والقضاة ص ٣٧ . (٢) الولاة والقضاة ص ١٢ .

ويروى أن جماعة المصريين الذين كانوا بالمدينة فى فتنة عثمان ، انصرفوا إلى مصر . فلما دخلوا الفسطاط ارتجز مرتجزهم :

خذها إليك واحذرَنْ أبا حَسَنْ إنا نُمِرُّ الحرب إمرارَ الرَّسَنْ
بالسيف كى تُخْمِدَ نيرانَ الفتنْ(١)

ولما دخلوا المسجد صاحوا : إنا لسنا قتلة عثمان ، ولكن الله قتله ، فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن حُدَيج عليهم وبايعوه .

ومن هؤلاء الشعراء المغمورين رجل يقال له أبو المصعب البلوى ، وله قصيدة يهجو فيها بعض رجالات العرب فى مصر ، وكان معاوية كلما قدم عليه رجل سأله أن ينشده إياها . وليس فيها ما يستحق الوقوف عنده إلا الشتم(٢) .

ولو فهمناها على أنها من الشعر السياسى الذى يتخذ الهجاء صورة له ، عرفنا السر فى إعجاب معاوية بها ، وسؤاله كل قادم من مصر أن ينشدها ، ومنها :

وليس بماجد الجدَّاتِ قيسٌ(٣) ولكن حَضْرَمِيَّاتٍ قِمَاء
وأعرض نفحه اليَرْبوعُ عنى يزيدُ(٤) بعد ما رُفِع اللواءُ
أشار بكفه اليمنى وكانت شمالا لا يجوز لها عطاء
أكَلِّمُ عائذاً(٥) ويصد عنى ويمنعُه السلامَ الكبرياءُ
وجُرْف قد تهدَّمَ جانباه كُرَيْبٌ(٦) ،ذا كم البَرَمُ العَيَاءُ

---

(١) الولاة والقضاة ص ١٨ .

(٢) رواها ابن عبد الحكم فى « فتوح مصر » ص ١٢٢

(٣) قيس بن كليب ، كان حاجب عمرو بن العاص ، وصار حاجباً لعبد العزيز بن مروان بعد ذلك .

(٤) يزيد بن شرحبيل بن حسنة . والنفح = العطاء

(٥) عائذ بن ثعلبة البلوى ، قتل بالبرلس فى حربه مع الروم سنة ٥٣ هـ .

(٦) كريب بن أبرهة بن الصباح ، وكان من رجالات مصر فى ذلك العهد .

وأما القحزمى[١] فــذاك بغل أضرّ بِهِ مع الدّبْر الحفَاءُ

ولهذا الشاعر قصيدة أخرى مدح فيها عبد الرحمن بن قيسية بن كلثوم التُّجيبى ، الذى وهب أبوه داره لتكون مسجداً بالفسطاط . وبقى من هذه القصيدة قول أبى المصعب لعبد الرحمن :

وأبوكَ سَلَّم دارَه وأباحهـا لِجِبَاه قومٍ رُكَّعٍ وَسُجود[٢]

ولا يعرف عن قائل هاتين القصيدتين إلا اسمه وكنيته . فاسمه قيس بن سلمة وكنيته أبو المصعب . ولا ندرى إن كان جاء إلى مصر مادحا أو مقيما .

وقال شاعر آخر اسمه أبو قَبَّانَ بنُ نعيمٍ التجيبى ، مفتخراً بفتح بابليون ، ومادحاً فعل قيسية بن كلثوم ، فى تصدقه بداره لتكون مسجدا :

وبابِلْيُونُ قد سعدنا بفتحها وحُزْنا، لَعَمْرُ الله، فَيْئاً ومَغْنَما

وقيْسيَّة الخير بنُ كلثوم ، دارَه أباحَ حماها للصلاة وسلَّما

فكل مُصَلٍّ فى فِنَانا صلاتُه تعارفَ أهلُ المصر ماقلتُ، فاعلما[٣]

فما الذى يدل عليه مدح شاعرين لهذا المتبرع ؟ إنه يدل على تعدد الشعراء ، وعلى أهمية بناء مسجد فى ذلك الوقت ، ويدل على منزلة هذا المتبرع ، وقد ذكر المقريزى أن المسجد الذى بنى مكان دار قيسية هو مسجد عمرو ، أو المسجد الجامع وهو أول مسجد بنى بمصر فى الإسلام .

وأمر معاوية واليه مسلمة بن مخلد فى سنة ٥٣ بالزيادة فى المسجد الجامع ، فهدم ما كان عمرو بناه وبنى آخر ؛ وأمر بابتناء منار المساجد كلها ، وهو أول من فعل ذلك .

(١) القحزمى هو عمرو بن قحزم الخولانى ، كان من شيعة عثمان .

(٢ ، ٣) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٤٦ ، اسم الممدوح « قيسبة » فى بعض الروايات

وقال رجل يسمى عابد بن هشام الأزدي يذكر فعل مسلمة ويمدحه[1] :

لقد مدّت لمسلمة الليالي على رغم العُداة مع الأمانِ
وساعده الزمان بكل سعد وبلّغه البعيدَ من الأماني
أمَسلَمَ فارتَقِ ، لا زلت تعلو على الأيام ، مَسْلمَ ، والزمانِ
لقد أحكمْتَ مسجدَنا فأضحى كأحسنِ ما يكون من المباني
فتَاهَ به البلادُ وساكنوها كما تاهت بزينتها الغواني
كأن تجاوبَ الأصوات فيه إذا ما الليل ألقى بالجِران
كصوت الرعد خالطه دويٌّ وأرعبَ كل مختطَفِ الجَنان

وليس فى أسلوب هذه الأبيات الخمسة الأولى ، ولا عباراتها ، ما يصلها بالشعر الجيد فى ذلك العهد ، لأنها مهلهلة ؛ ليس فيها شيء من جزالة الشعر عندئذ ، بل إن روح الضعف البادى فيها تجعلها شبيهة بمؤرخ — لا شاعر — قالها بعد ذلك بقرون . وكيف ننسب قوله : « فأضحى كأحسن ما يكون من المبانى » — على جدته وحداثة تركيبه — إلى عهد معاوية ؟ وكيف نجعل « تيه البلاد وساكنيها بالمسجد مثل تيه الغوانى بزينتها » شبيها بذلك العصر ؟

ولكن هكذا روى الشعر وهكذا نسب .

ولما قدم مروان بن الحكم على مصر ، أجمع أهل البلاد على رده عنهم ، وكان عليهم عبد الرحمن بن جحدم عامل ابن الزبير ، وهو الذى حفر خندقا حول الفسطاط سنة ٦٤ فى شهر واحد ، فقال شاعر يعرف بابن أبي زمزمة الحسني :

وما الجِد إلا جدُّ ابن جحدم وما العزم إلا عزمه يومَ خندقِ

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٤٨

ثلاثون ألفـــاً هم أثاروا ترابه وخَـدُّوه فى شهر ، حديثُ مصدَّق[(١)]

وسارت ثلاثة جيوش لرد مروان ؛

أحدها فى البحر وعليه الأكدر بن حمام فنزل عاصف بالمراكب ففرقها ، ونجا أميرها وعاد إلى الفسطاط[(٢)] .

وأما الجيش الثانى فكان بريا ، وعليه السائب بن هشام بن كنانة العامرى ؛ فأخبر روح بن زنباع أميره مروان أن للسائب ابناً مسترضماً فى فلسطين؛ فأخذه . فلما التقى الجمعان أبرز مروانُ الصبىَّ ، وقال : أتعرف هذا يا سائب ؟ قال : هذا ابنى ! قال : نعم ، فوالله لئن لم ترجع عَوْدك على بدئك لأرميَنَّك برأسه . فرجع بجيشه ولم يقاتل .

وكان الجيش الثالث بريًّا أيضاً ، وعليه زهير بن قيس البلوى ، ووجهته « أيلة » ليمنع عبد العزيز من المسير إليها ، فالتقيا « ببُصاق » وهى سطح عقبة أيلة ، فهُزم زُهير ، ومن الغريب أنه قال لعبد العزيز مادحاً :

مَنعْتَ بُصَاقاً والبِطاحَ فلم تُرَمْ بطاحُك لما أن حميتَ ذِمَاركا
قَسَرْتَ الأُلَى وَلَّوْا عن الأمر بعدما أرادوا عليه ، فاعلمَنَّ ، اقتساركا

وسار مروان حتى نزل عين شمس ، فخرج إليه ابن جحدم ، فتحاربوا يوما أو يومين . ثم رجع المصريون إلى خندقهم ، فصُفُّوا عليه ، فكانت تلك الأيام تسمى أيام « الخندق ، والتراويح » لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نُوَباً ، يخرج هؤلاء ثم يرجعون ، ثم يخرج غيرهم ، واستحر القتل فى المعافر فقتل منهم جمع ، وقتل كثير من أهل القبائل من مصر ، وقتل من أهل الشام جمع كثير . قال عبد الرحمن بن الحكم[(٣)] :

---

(١) الولاة والقضاة ص ٤٢ ، خدوه = شقوه .
(٢) ص ٤٣ (٣) ص ٤٤

ألا هل أتاها على نأيهـــا نَـبَاءُ التروايح والخنـــدقِ
بلغنا بفيلقَ يغشى الظِّرابَ بعيد السـمو لمن يرتقى
وجاشت لنا الأرض من نحوهم بحَيّي تُجيبَ ومن غافق
وأحياءِ مَذْحج ، والأشعرينَ وحِمْـيَر كاللهب المحـرق
وسدت مَـعَافر أفْـق البـــلاد بمُرْعِـدِ جيشٍ لها مُبْـرِق
ونادى الـكُـمَاة : ألا فابرزوا لختـــام ، حتى ، ولا نلتقى
فلو كنت ، رَمْلةُ ، شاهدتِـه تمنيتِ أنكِ لم تخـــلقى

وبايع الناس لمروان إلا المَـعافر ، فقتل عدداً كبيراً منهم ، وقتل الأكدر ابن حمام فى جمادى الآخرة سنة ٦٥ ، وكان سيد لخم وشيخها ، وممن حضر فتح مصر هو وأبوه ، وكانا ممن سار إلى عثمان . ومات فى اليوم نفسه عبد الله بن عمرو ابن العاص ، فلم يستطع الخروج بجنازته لتشغب الجند على مروان بسبب قتل الأكدر ، فدفن عبد الله فى داره ، وقال زياد بن قائد اللخمى يرثى الأكدر[١] :

كما لقيت لخمُ ما ساءها بأكدرَ ، لا يَـبْعَـدَنْ أكدَرُ
هو السيف أجرِدَ من غِمْـده فلاق المنـــايا وما يشـمرُ
فلهفى عليـــك غداةَ الردى وقد ضـاق وِردُك والمصـدَرُ
وأنت الأسـيرُ بلا مَـنْعة وما كان مثلُك يَسْـتَأْسِرُ

هذه الأبيات القليلة التى جاءتنا من شعر ذلك العصر ، فيها الهجاء والفخر والرثاء والمدح والوصف ، ولكنها لا تصلح أساساً للحكم على الشعر عندئذ ، لقلتها ، ولما أصاب بعضها من تحريف جعل من العسير قراءته وفهمه فهماً صحيحا .

(١) الـكندى ص ٤٦

(ب) عبد العزيز بن مروان :

إذا كان للشعر بواعث تثيره ، وعوامل تدعو إليه ، وظروف ترغب فى الرحلة به ، ومزايا تشجع على روايته ، فقد تحققت هذه فى زمن عبد العزيز بن مروان .

ولى عبد العزيز أمر هذه البلاد لأبيه ، ولأخيه عبد الملك ، أكثر من عشرين عاما (سنة ٦٥ — ٨٦) ، وفى عهده الطويل ازدهر الشعر ، ووفد الشعراء لمدحه وسنرى أن شخصية عبد العزيز وصفاته ، كانت من أكبر الأسباب التى جعلت مصر فى أيامه قبلة كثير من الشعراء ، ومطمع عدد من المادحين . وكان الذين قصدوا مصر لمدحه ، أكبر عدداً ممن وفدوا عليها من الشعراء فى أى عهد آخر ، ولا نعرف والياً غيره طال عهده فى البلاد كما طال عهد عبد العزيز ، مع العناية بالأدب والرواية ، والاهتمام بالمدح ووفادة الشعراء .

وكان قصره فى مصر شبيهاً بقصر أخويه ، عبد الملك فى دمشق ، وبشر فى العراق . فكانت قصورهم مثابة الشعراء ومنتدى الأدباء ، وكانت لهم فيها مجالس يُسقَوْن فيها من رحيق الأدب العربى ألذه ، ويسمعون من موسيقاه أحلاها ، ويستمتعون من نوادره بأعجبها ، ولهم فيه النقد القيم ، والتوجيه الحسن .

ولا ننسى أن عبد العزيز كان ولى عهد الدولة ، وكانت الآمال معلقة به بعد عبد الملك ، وكان له فى مصر نعيم وملك كبير .

ومن الذين وفدوا عليه بمصر :

١ — أيمَن بن خُرَيم بن فاتك الأسدى :

وهو شاعر من الذين كثر تقلبهم فى البلاد ، وتقلبهم فى العقيدة . فقد كان

أيمن شيعياً ، ثم تولى آل الزبير ، ثم انقلب أموياً ، ووالى عبد العزيز ، ثم مال عنه إلى بشر .

وقد جاء إلى مصر غاضباً من يحيى بن الحكم ، عم عبد العزيز ؛ كما خرج منها غاضباً ، لأن عبد العزيز فضل عليه شاعراً آخر ، هو نُصَيْب بن رباح .

كان مجيئه إلى مصر لمدح عبد العزيز ، ومن شعره فيه[1] :

لا يرغبُ الناسُ أن يَعْدِلوا بعبد العزيز بنِ ليلى أميرا
ترى قِدْرَه مُعْلَناً بالفِنَاءِ يَلْقَمُ بعد الجزُورِ الجزُورَا

وهو شعر عربى فى لفظه ومعناه ؛ فقد مدح عبد العزيز بما جرت به العادة ، إذ مدحه بالكرم ، وإطعام الطعام . وبمحبة الناس له ، حتى ما يرغبون أن يعدلوا به أميرا . وهو مدح هادىء معتدل ، لا مبالغة فيه ولا إسراف .

أما نسبة عبد العزيز إلى أمه فهى نسبة كان يحبها ، ويحب أن يراعيها الشعراء فى مدحهم له ، كما كان معاوية يحب هذه النسبة لشرف أمه . وما أباها عبدُ الملك فى مدح ابن قيس الرقيات له إلا لسبب آخر ، إذ أضاف الشاعر عبدَ الملك إلى « بطن عائشة » أمه ، فكره عبد الملك أن يتحدث عن بطن أمه فى الشعر .

وإذا أردنا أن نعرف منزلة أيمن عند عبد العزيز بن مروان فعلينا أن نقص بعض أخبار نُصَيْب فى مصر ، فإن لأيمن دوراً كبيراً فيها ، وكانت ذات أثر خالد فى حياته ، إذ قطعت صلته بعبد العزيز وبمصر .

روى الأغانى وفادة نصيب على عبد العزيز بروايات مختلفة ، تجمع كلها على أنه لقى أيمن عنده ، ونكتفى منها بما روى فى ترجمة أيمن نفسه ، قال أبو الفرج[2] : « دخل نصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحه بها

---

(١) الولاة والقضاة ص ٥٢ وأول المدح هناك « لا يرهب » وهو تحريف
(٢) ج ٢١ ص ٧

فأعجبته ؛ وأقبل على أيمن بن خريم فقال : كيف ترى شعر مولاى هذا ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . فقال : هو أشعر والله منك ! قال : أمِنّى أيها الأمير ؟ فقال : إى والله . قال : لا والله ، ولكنك طَرِفٌ مَلُول . فقال له : لو كنتُ كذلك ما صبرتُ على مؤاكلتك منذ سنة ، ولك من البرص ما بك . فقال : ائذن لى أيها الأمير فى الانصراف . قال : ذلك إليك . فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان ، وقال :

ركبت من القطم فى جُمَادى ... إلى بشر بن مروان البريدا »

ومدح بشراً بأبيات ختمها بقوله :

« كأن التاج تاجَ أبى هِرَقْلٍ ... جلَوْه لأعظم الأيام عيدا
يخالف لونه ديباجَ بشر ... إذا الألوانُ حالفت الخدودا »

يعرض بنَمَشٍ كان بوجه عبد العزيز ، فقبله بشر بن مروان ووصله ، ولم يزل أثيراً عنده » .

ونرى أنفسنا فى هذه القصة أمام شاعر يفد على عبد العزيز ، فيقيم عنده عاما كاملا ، يجالسه ويؤاكله ، على الرغم من مرضه ، وتلك منزلة عالية نزلها أيمن بشعره ، ولا أدرى مبلغ ما أخذ من المال ، ولا عدد القصائد التى قالها فى مدح عبد العزيز فى ذلك العام ؛ ولا التى وفد بها إلى مصر . ولا ما أنشد وروى من أدب فى مجالس عبد العزيز ، ولا ما كان له من فضل فى تأييد سياسته والثناء على أفعاله .

ونجد أنفسنا أمام شاعر مُدِلٍّ بمنزلته عند الأمير ، جرىء عليه ، لا يخشى أن يخالفه فى الحكم على نصيب ، ولا أن يرد عليه رداً جافياً ، ولا أن يترك بلدته سريعاً حينما أحس أنها نَبَتْ به ، وأن جوار عبد العزيز لم يعد خصباً ممرعاً له وحده ؛ فاستأذن فى الرحلة إلى العراق ، واثقاً أنه سيجد باباً آخر يأتيه منه الرزق

رغداً ، والعطاء جزيلا .

ونجد أنفسنا أمام شاعر يخشى المنافسة ويحسب لها حسابا ، فيحاول أن يغض من قدر نصيب وإن رفعه الأمير ؛ إذ كان يتوقع تقدم منزلته ، وتقدير الأمير لشعره : لما عليه الأمير من علم بالشعر ، ولما فى شعر نصيب من جمال ، وما فيه من ولاء وإخلاص .

وكان ما توقعه أيمن صحيحا فقد عظمت منزلة نصيب فيما بعد ، وتركه أيمن لنا نتحدث عنه فيمن قدموا مصر لمدح عبد العزيز .

٢ — نُصَيْبُ بْنُ رَبَاح .

اتفق الرواة على أنه كان عبداً أسود ، وأنه كان مولى لبعض بنى كنانة ، وأنه وفد على عبد العزيز بن مروان بمصر ، فمدحه وصار مولى له .

ولكنهم يختلفون فى تفصيل ذلك اختلافا لا ينقض شيئاً مما تقدم ؛ فيختلفون فيمن أعتقه ، وفى زمن وفادته على عبد العزيز وأسبابها . وقد تقدم أنه لقى أيمن ابن خريم فى مجلس عبد العزيز ، وأن أيمن نقصه قيمته عند ما علم أنه شاعر . ومجيئه إلى مصر لا يخلو من قصص تشبه قصص المغامرات أحيانا ، وأول هذه وأقربها إلى الصواب ما يأتى :

كان نصيب يقول الشعر فيعجبه ، ثم عرض بعض شعره على مشيخة من بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة — وهم مواليه — ونسب بعض ما قاله إلى شعراء الجاهلية فأعجب به مواليه ، وقالوا : « هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعر ! » فأخبرهم أنه شعره ، فشجعوه على الرحلة به إلى مصر لمدح عبد العزيز .

ثم عرف أخته أنه شاعر ، وأنه سيقصد عبد العزيز بمصر ليمدحه ، عسى أن يكون على يديه عتقه ، وعتق أمه وأخته ، ومن كان مرقوقا من أهل قرابته . فقالت أخته : « إنا لله وإنا إليه راجعون ! يابن أُمَّ ، أتجتمع عليك الخَصْلَتان : السواد وأن تكون ضحكة للناس » .

قال : قد قلتُ فاسمعي ، فأنشدَها فسمعَتْ ، « فقالت بأبي أنت ! أحسنتَ والله ! في هذا والله رجاء عظيم ؛ فاخرج على بركة الله » ، فخرج على قَعُود له حتى قدم المدينة ، فلقى الفرزدق بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه شعره ، فقال له الفرزدق : « ويلك ! أهذا شعرك الذى تطلب به الملوك ! إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل » فتدفق عَرَق نُصَيْب . وسمع إنشاده وما قاله الفرزدق ، رجل من قريش كان قريبا لحصبه ، فذهب إليه نصيب فقال له القرشى : « ويحك ! أهذا شعرك الذى أنشدته الفرزدق ؟» فقال نعم ، فقال القرشى : « قد والله أصبت ، والله إن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك . فإنا لنعرف محاسن الشعر ، فامض لوجهك ولا يكسرنك » .

فسره قوله وأعانه على المضى ، قال: « فقدمت مصر وبها عبدالعزيز بن مروان ، فحضرت بابه مع الناس فنُحِّيتُ عن مجلس الوجوه ، فكنت وراءهم ، ورأيت رجلا جاء على بغلة ، حسنَ الشارة سهلَ المدخل يؤذَن له إذا جاء ، فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشى بغلته ، فلما رآنى قال : ألك حاجة ؟ قلت نعم ، أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ، وقد مدحت الأمير وخرجت إليه راجياً معروفه » فاستنشده الرجل ، فأنشده ، فقال له : « ويحك ! أهذا شعرك ؟ فإياك أن تنتحل ، فإن الأمير راوية عالم بالشعر ، وعنده رواة ؛ فلا تفضحني ونفسَك » . وطلب منه أن يقول أبياتاً يذكر فيها حوف مصر وفضلها على غيرها ؛ ففعل ، ولقيه من غده فأنشده :

تَمرَّى الْهمُّ تثنيني إليك طلائعُه بمصرٍ وبالحوْفِ اعترتني روائمه
وبات وِسَادِي ساعدٌ قلَّ لحمه عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعُه

ثم وصف الغيث بعد هذين البيتين اللذين لا يصلهما بمصر إلا ورود اسمها واسم حوفها فيهما ، ولكنه أجاد فى وصف الغيث .

فلما أتمها قال له الرجل : « أنت والله شاعر ! احضر حتى أذكرك للأمير . قال فجلست على الباب ودخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرنى حتى دُعِىَ بى ، فدخلت فسلمت على عبد العزيز ، فصعَّد فىَّ بصره وصوَّب ، ثم قال : أنت شاعر ! ويلك ! » .

واستنشده شعراً فأنشده ، فأعجب به عبد العزيز ، واستأذن الحاجب لأيمن ابن خريم ، ولما اطمأن سأله الأمير أن يُقَـوِّمَ نصيباً ، فقال : والله لنعم الغادى فى أثر المخاض ، وقَـوَّمه بمائة دينار ، فلما علم أنه شاعر نقص قدره إلى ثلاثين ديناراً . وتستمر القصة بعد ذلك كما تقدمت فى الـكلام على أيمن مع فرق يسير فى التعبير[1]

وفى رواية أخرى أن عبد الله بن أبى فروة أول من نوه باسم نصيب . وقدم به على عبد العزيز بن مروان ، « وهو وصيف حين بلغ ، وأول ما قال الشعر » ، فلما أعجب عبد العزيز بشعره قال : « إذا دعوت بالغداء فأدخلوه على فى جبة صوف ، محتزماً بعقال ، فإذا قلت قوموه فقوموه وأخرجوه ، وردوه على فى جبة وشى ، ورداء وشى » ففعلوا ، وكان أيمن حاضراً هذا المجلس ، فنقص قيمته حين أخبر أنه شاعر ، فـكان بين الأمير وبينه ما تقدم .

وتنتهى هذه الرواية بأن أيمن جاز بعبد الملك فى طريقه إلى بشر ، فقال له : أين تريد ؟ فقال أريد أخاك بشراً . قال : أتجوزنى ! قال : إى والله أجوزك إلى من قدم إلى وطلبنى ، قال : فلم فارقت صاحبك ؟ قال : : رأيتكم يا بنى مروان تتخذون للفتى من فتيانـكم مؤدباً ، وشيخكم والله محتاج إلى خمسة مؤدبين ! فسر ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقد لابنه الوليد[2] .

وإذا صحت هذه الرواية كانت وفادة نصيب على عبدالعزيز فى أواخر أيامه بمصر ،

---

(١) الأغانى جـ ١ ص ٣٢٩ (٢) الأغانى الأغانى جـ ١ ص ٣٣٢

عندما كاتبه عبد الملك لينزل عن ولاية العهد لابنه الوليد[١] .

ولكن أخبار نصيب مع عبد العزيز تشير إلى أنه مدحه أكثر من مرة، ووفد عليه أكثر من مرة ، وأنه أمره فى أول خروجه إليه أن يرجع إلى مواليه فيشترى نفسه ثم يعود . ففعل .

ومن طريف الروايات ، وأدخلها فى باب القصص[٢] أنه كان يرعى إبلاً لمواليه فأضل منها بعيراً ، فخرج فى طلبه حتى أتى الفسطاط ، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان ، فرآه أهلا لحاجته ، فاستأذن عليه ، وأخبر الحاجب أنه قد هيأ له مدحاً . فلما أخبر الحاجب عبد العزيز بسواده ، ورغبته فى المديح ، ظن أنه ممن يُهزأ به ويضحك منه . فقال للحاجب : مُرْهُ بالحضور ليوم حاجتنا ، فغدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر ؛ وأتاه آت من عبد الملك فسره ، فأمر بالسرير فأبرز للناس ، وقال : علىّ بالأسود ، وهو يريد أن يضحك منه الناس ، فدخل ، فلما كان حيث يسمع كلامه قال :

لعبد العزيز على قومه ... وغيرهمُ نِعَمٌ غامره
فبابُكَ ألين أبوابهم ... ودارُكَ مأهولة عامره
وكلبُك آنسُ بالمعتفين ... من الأم بالابنة الزائره
وكفُّك حين ترى السائلين ... أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ومنى الثناء ... بكل مُحَبَّرَةٍ سائره

فقال : أعطوه أعطوه ، فقال : إنى مملوك ، فدعا الحاجب فقال : اخرج فأبلغ فى قيمته ، فدعا المقومين ، فقال : قوِّموا غلاماً أسود ليس به عيب ، فقالوا . مائة دينار . قال : إنه راع للابل يبصرها ويحسن القيام عليها . قالوا : حينئذ مائتا

---

(١) ص ٩١ من هذا الكتاب . (٢) الأغانى ج ١ ص ٣٣٣ .

دينار، قال: إنه يبرى القِسِى ويثقفها ، ويرمى النبل ويريشها . قالوا : أربعمائة دينار . قال : إنه راوية للشعر بصير به ، قالوا ستمائة دينار . قال : إنه شاعر لا يلحق، حذقاً . قالوا : ألف دينار ، قال عبد العزيز : ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ، ثمن بعيرى الذى أضلات . قال : وكم ثمنه ؟ قال : خمسة وعشرون ديناراً ، قال ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير . جائزتى لنفسى عن مديحى إياك . قال : اشتر نفسك ، ثم عد إلينا » .

وقد فعل ، وعاد إليه لمدحه .

هذه قصص عن وفادة نصيب ، أو روايات متعددة ، وليس يضير هذا الكتاب أن يطول الحديث فيه عن وفادة نصيب ، ففى كل قصة منها من الإمتاع والطرافة ما يجعل روايتها لازمة للتسلية والسرور .

وهى تتصل بموضوعنا من قريب ، وفيها من الدلائل النافعة لمؤرخ الأدب والمعقب عليه ما يجعل روايتها واجبة .

وانظر إلى هذه الوفادة كما تقدمت ، تجد :

١ — أن عبدالعزيز كان مقصد الشعراء ، وكان « مُمَدَّحا » يفد عليه الشعراء لمدحه ، وأخذ جوائزه .

٢ — وأنه كان أديباً ناقداً راوية ، وحوله رواة ، فلا يستطيع منتحل أن يحظى عنده .

٣ — وأن الشعراء الناشئين كانوا إذا رغبوا فى الرحلة إليه — أو إلى غيره من الأمراء الأدباء — اختبروا شعرهم قبل مقدمهم على هؤلاء الأمراء ، فكان خوفهم داعياً إلى الحرص على الإجادة .

٤ — وأن الشعراء كانوا يتنافسون ، لما يعرفونه من الشهرة المنتظرة ، والخير

المرتقب لمن ينال ثقة أمير أو خليفة . وكان كل منهم يطمع أن يكون صاحب المنزلة الأولى .

٥ — وما كان الشعراء يجدون بأساً فى الطلب من الأمراء ، إذ كان عطاء الأمراء جزيلا ، يغنى من فقر ، ويرفع من ضعة .

٦ — وكان الشعر تاريخاً يسجل حوادث عصره فى بعض نواحيه ، وإن كان تاريخاً متهماً بالميل مع الهوى ، والقول كما ترغب السياسة .

وكانت نعم عبد العزيز غامرة على نصيب وعلى غيره ، وقد أبطأت جائزته عند عبد العزيز يوماً ، فقال :

وإن وراء ظهرى يابن ليلى ... أناساً ينظرون متى أءوبُ
أُمَامَةُ منهمُ ولمأْقِيها ... غداةَ البين فى أثرى غُروبُ[(١)]
تركتُ بلادها ونأيتُ عنها ... فأشبه ما رأيتُ بها السَّلوبُ[(٢)]
فأتبِعْ بعضَنا بعضاً فلَسْنا ... نثيبُكَ ، لكنِ اللهُ المثيبُ

فعجل جائزته وسرحه .

وكان يرحل إليه كل عام فيجيزه ويحسن صلته ، فقال نصيب[(٣)] .

يقول فيحسن القولَ ابنُ ليلى ... ويفعل فوق أحسنِ ما يقولُ
فتى لا يَرْزَأُ الخلان إلا ... مودَّتهم ، ويرزَؤُه الخليل
فَبَشِّرْ أهلَ مصرَ فقد أتاهم ... مع النيل الذى فى مصر نيل

(١) مأق العين = حرفها الذى يلى الأنف ، والغروب = الدموع حين تخرج من العين ، واحدها غرب .
(٢) الظبية السلوب والسالب ، التى سلبت ولدها ، والمراد أن أمامة كثيرة البكاء والدمع ، كالظبية التى فقدت ولدها .
(٣) الأغانى ج ١ ص ٣٥٢

ومدح نصيب ليس تقليدا ، إذ أنه نتيجة تجربة خاصة فى القصيدة التى استعجل فيها العطاء ، فأثار العطف ، بذكر أولئك الذين تركهم ينظرون متى يثوب ، وبالحديث عن بكائهم من أجل فراقه ، ولكن الصورة عربية لحماً ودماً ، وبخاصة فى تشبيه أمامة بالظبية التى سلبت ولدها فلا تزال تبكيه حتى يعود .

وفعل نصيب ما فعله أيمن فى مدح عبد العزيز ، فمدح « ابن ليلى » بالكرم ، وأنه يفعل فوق أحسن ما يقول . ولكنه رأى النيل بمصر وأحس به ، فخرج عن الطريقة التقليدية فى تشبيه الكريم بالبحر ، وشبه عبد العزيز بالنيل ، وبشر به أهل البلاد .

ومرض عبد العزيز فاستأذن عليه نصيب ، فأذن له : فقال يدعو له بالشفاء ، ويفديه لو كان يُقْبَلُ الفداء :

ونزور سيدَنا وسيدَ غيرِنا ليت التَّشكيَّ كان بالعُوَّادِ
لو كان يَقبلُ فِدْيةً لفديته بالمصطفى من طارِفِي وتِلادى

فلما سمع عبد العزيز شعره ، فتح عينيه ، وأمر له بألف دينار[1] .

وحفظ نصيب معروف عبد العزيز ، وأثنى عليه حياً وميتاً . فإن عبد العزيز مات فى طاعون حل بمصر سنة ٨٦ هـ ، وكان موته بقرية يقال لها « سُكَّر » خرج إليها فراراً من الوباء ، فقال نصيب يرثيه[2] :

أصبت يوم الصعيد من « سُكَّر » مصيبةً ليس لى بها قِبَلُ[3]

(١) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٣٧

(٢) الأغانى ج ١ ص ٣٦٠

(٣) « سكر مدينة من مدن الإطفيحية ، تجاهها واد به إلى وقت المقريزى ، جمل من الحجر » ، « الخطط ج ١ ص ٣٣١ » . ونسب هذا البيت إلى كثير فى رثاء غير عبد العزيز ـ الولاة والقضاة ص ٦٦ »

تاللهِ أنْسَى مصيبتى أبــدا ... ما أسمعتْنِى حنينَها الإبلُ
ولا التَّبكِّى عليــه أعْوِلُه ... كلُّ المصيباتِ بعدَه جَلَلُ(١)
لم يعلمِ النَّعشُ ما عليه من الـ ... ـعُرْف ولا الحاملونَ ما حملوا
حتى أجَنُّوه فى ضريحِهِمُ ... حينَ انتهى من خليلِه الأملُ

وسأله عبد الملك أن ينشده بعض مارثى به أخاه عبد العزيز ، فأنشده هذه القصيدة(٢) :

عرفتُ وجرَّبتُ الأمورَ فما أرى ... كماضٍ تلاهُ الغابرُ المتأخرُ(٣)
ولكنَّ أهلَ الفضلِ من أهل نعمتى ... يمرُّون أسلافاً أمامى وأغبرُ
فإن أبكهِ أُعْذَرْ ، وإن أغلبِ الأسى ... بصَبْرٍ فمثلى عندما اشتدَّ يَصْبِرُ
وكانت ركابى كلما شئتُ تنتحى ... إليك ، فتقضى نحبَها وهى ضُمَّرُ
ترى الورْدَ يُسْراً ، والثواءَ غنيمةً ... لديك ، وتُثْنِى بالرضاحين تصدُرُ
فقد عَرِيَتْ بعد ابن ليلى ، فإنما ... ذراها لمن لاقَتْ من الناس مَنظرُ
ولو كان حيًّا لم يزل بدُفوفها ... جَرادٌ لغربانِ الطريق ومنْقَرُ(٤)
فإن كُنَّ قد نِلْنَ ابنَ ليلى فإنه ... هو المصطفَى من أهله المُتَخَيَّرُ

وإذا كان فى القصيدة الأولى أثر الحسرة والبكاء على عبد العزيز ، فإن القصيدة الثانية تميل إلى الحديث عن آثار نعمته على نصيب ، وما كان يعطيه من مال ، وما كان لنصيب من رحلات كثيرة إليه أهزلت راحلته ؛ وتذكر أنه كف عن ذلك.

(١) جلل = صغيرة .
(٢) الأغاني ج ١ ص ٣٦١
(٣) الغابر = الباق .
(٤) الدفوف جمع دف وهو الجنب .

وأراحها بعد موته ، لأنه لم يعد هناك من يقصده من الممدوحين ، وأخيراً يمدح « ابن ليلى » بأنه المصطفى من أهله والمختار منهم . فيذكره منسوباً إلى أمه لعله يرضيه بهذه النسبة ميتاً كما كان يرضيه بها حياً .

ولما سمع عبد الملك قوله :

فإن أبْكِ أُعذَرْ ، وإن أغلب الأسى ... بصبرٍ فمثلى عندما اشتد يصبر

قال له : ويلك ! أنا كنت أحق بهذه الصفة فى أخى منك ! فهلا وصفتنى بها ! وجعل يبكى .

وحفظ نصيب جميل مولاه ؛ فبكاه ورثاه أكثر من مرة ، وروى له الكندى قصيدة فى رثائه ورثاء ابنه الأصبغ الذى توفى قبله بشهرين[1] ، ومنها :

هما أخواى الصالحان تواليا ... بحمد فهدّا للفراق أخاهما

جزى خيرُ مولىً مولَيَيَّ ، ولا جزى ... من الناس خيراً من أحب رداهما

ولا أدرى من أين جاءت هذه الأُخوة بين نصيب وبينهما ، وكيف اجترأ على تلك المنزلة ؟ ولقد عرَّض ؛ ودعا على من أحب رداهما ؛ ولا أظنه كان يقصد عبد الملك أو ابنه الوليد ، فليست به حاجة إلى عداوتهما بعد موت عبد العزيز ، وليس فى قدرته أن يعاديهما ، وهو يأمل فيهما الخير والعطاء الجزيل .

٣ — ابن قيس الرقيات :

وهو شاعر مادح ، أراد يوماً أن يكون له مبدأ ، فوالى ابن الزبير فى سلطانه ثم دار الزمان ، وصار الأمر لبنى أمية ، فلفظته البلاد إليهم ، وتشفع بابن جعفر لديهم فعفا عنه عبد الملك وقبل مدحه . وله عليه بعض النقد ، والمآخذ المشهورة .

---

(١) الولاة والقضاة ص ٥٦

ومما يَسَّر لابن قيس الرقيات موالاة بنى أميه ، وهونه على نفسه ، أنه كان يؤمن بقريش ؛ وهؤلاء منها فى المحل الأرفع ، وأعلامهم قدراً هو عبد الملك .

ووفد على عبد العزيز بمصر فمدحه ، وامتاز على غيره من مادحيه بالحديث عن بعض المناظر فى مصر ، وربما كان الباقى من شعره فى الوصف أكثر من أى شاعر آخر فى عهد بنى أميه على قلته ومن قصائده المشهورة فى مدحه قصيدته البائية(١)

لم يَصْحُ هذا الفؤادُ من طَرَبه ... ومَيْله فى الهوى وفى لَعِبه
أهلا وسهلا بمن أتاك من الرَّ ... رقة يَسْرِى إليك فى سُخُبِه(٢)
باتت بحلوان تبتغيك كما ... أرسلَ أهل الوليد فى طَلَبِه
فدلهَّا الحب فاشتفيت كما ... تَشْفِى دماء الملوك من كَلَبِه(٣)

وفى هذه المقدمة كثير من الالتفات والانتقال كالحديث عن فؤاده ، وعن خيال المحبوب ثم مخاطبة نفسه ، ثم الحديث عن تلك التى باتت بحلوان تبتغيه ودلها الحب عليه . ولا شك أن هذا الالتفات أحدث غموضاً فى الأبيات مجتمعة .

ثم يقول فى وصف حلوان ونخلها :

سَقْياً لحلوانَ ذِى الكروم وما ... صُنِّفَ من تينه ومن عنبه
نخلٌ مواقيرُ بالفِناءِ منَ الـ ... بَرْنِىِّ ، غُلْبٌ ، يهتزُّ فى شَرَبه(٤)
أسْوَدُ سُكاَّنِه الحمام فما ... تنفكُّ غِرْبانُه على رُطَبِه

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ص ٨١

(٢) جمع سخاب بكسر السين وهى قلائد من الزهر وفسرها فى الديوان بأنها ضرب من الثياب والحلى .

(٣) الكلب : داء يصيب من عضه الكلب المسعور ، وعند العرب لا يبرأ المكلوب حتى يسقى دماء ملك شريف .

(٤) مواقير : مثقلة . والبرنى : التمر . الشرب : حوض حول أصل النخلة فيه ماء يسقيها . غلب : جمع غلباء ، وهى النخلة المتكاثفة الكثيرة السعف .

وقد كانت حلوان عامرة فى أيام عبد العزيز ، وكانت جديرة بأكثر من قصيدة فى وصفها والحديث عن عمارتها ، ولكن ابن قيس جاء مادحاً للامير ، وكفاه هذه الأبيات الثلاثة فى الوصف .

ثم يبدأ المدح فيقول :

أثنِ على الطيب ابنِ ليلى ، إذا أثنيت ، فى دينه وفى حسبه
من يصدق الوعد والقتال ، ويخ شى الله فى حلمه وفى غضبه
ومن تفيضُ الندى يَدَاه ، ومن ينتَهِب الحمدَ عندَ مُنْتَهبه
أمُّكَ بيضاء من قُضَاعَةَ فى ال بيت الذى يُسْتَظَلُّ فى طُنُبه
وأنت فى الجوهر المهذب من عبد مَنَاف ، يَدَاك فى سببه[1]
يخلفك البيض من بنيك كما يَخْلُفُ عود النضار فى شُعَبِه
ليسوا من الخروع الضعيف ولا أشباهَ عيدانه ولا غَرَبه

وابن قيس ينوع فى مدحه ، فيمدح عبد العزيز بالدين والحسب والشجاعة ، والوفاء ، وخشية الله فى الحلم والغضب ، وبأنه رجل كريم كل أفعاله محمودة . وبأن أمه بيضاء ، وأصلها ثابت ، وملجأ للناس ؛ وأن آباءه كرام الأصل ، فهو من عبد مناف ، وفى الجوهر المهذب منهم . أما أبناؤه فليس فيهم خور ولا ضعف ، بل إنهم صلاب شداد . وهذه الصفات الكثيرة التى تضمنتها هذه الأبيات القليلة قد صيغت صياغة جميلة ، فجاءت أبياتها سائغة عذبة ، ليس فيها شىء من الضعف الذى نحس به عند خروج الأدب إلى السرد والتعداد .

أما قصيدته القافية[2] فى مدح بنى أمية عامة ، فتفضلهم على قوم لم يعينهم

---

(١) فى سببه : مستمسكة به ، والضمير للجوهر أو للبيت .

(٢) الديوان ص ٢٦٤

فيها ، ولم يعيبهم ظرف هذه القصيدة كما رواه الديوان والمؤرخون .

وقال ابن قيس الرقيات فى ذلك :

لَحَيٌّ من أميـــة ليـ ـس فى أخـــلاقهم رَنَق
يكون لخـابط المعرو ف فى واديهـــم وَرَق
أحبُّ إلىَّ من قـوم إذا ما أصبحوا نعقوا

وقد كان موسى بن نصير والياً على المغرب لعبد العزيز ، ففتح الله عليه الفتوح بالمغرب . وخرج عبد العزيز إلى الإسكندرية المرة الثالثة سنة ٨١ ، وخرج معه إليها وجوه الناس من الأشراف والشعراء . ووصف ابن قيس عودة الركب كله ؛ وخص السفن المصعدة فى النيل إلى حلوان جماعات ، من قرية الـكِـرْيَوْن قرب الإسكندرية وأشار إلى ما كانت تحمله من أنواع الحرير والخز وخمل الأرجوان . وختم ذلك بمدح عبد العزيز بن ليلى . قال :

غدوا من مَدْرَج الـكِـرْيَوْ نِ حيثُ سفينُهم حُزُقُ(١)
كما يَغْـدُو نَـشاصٌ من سـحاب الصيف منطلقُ(٢)
فلمـا أن علونَ النيـ ـل والراياتُ تختفـــقُ
رأيت الجـوهَـرَ الحـكمِـ ـيَّ والديبـــاجَ يأتَـلِقُ
وخَـزَّ السـوسِ والإضريـ ـجَ فَـصَّلَ بينَـه السَّرَقُ(٣)
وخَمـل الأُرْجُـوَانِ على السَّـ ـفِـينِ كأنه العَـلَق
سـفائنَ غـير مُـقْلَـمَة إلى حــلوانَ تسـتبق

(١) حزق : جماعات .

(٢) نشاص : (بفتح النون وكسرها) مرتفع ومتراكم .

(٣) أنواع من الحرير جيء بها من بلاد المغرب ، بلاد السوس على شـاطىء المحيط الأطلسى فى مراكش . والسرق = شقق من الحرير الأبيض .

ثم يثنى على حلوان ، وما ارتفع قدرها إلا بعبد العزيز ، فيقول :

محلٌّ ، من يحل به ‏ لذيذٌ عيشُه ، غَدَق
يحل به ابن ليلى والنـ ‏ ـدى والحلم والصِّدق
تكون جفانه رُذُما ‏ فمصبوح ومغتَبَق[1]
إذا ما أزحفت رُفَق ‏ أتت من دونها رفق

ومن مدائحه فى عبد العزيز قصيدته الميمية التى مطلعها :

طرقته أسماء أم حَلَما ‏ أم لم تكن من رِحالنا أَمَما

أما أول المدح فهو قول لا ترتاح إليه النفس ولا يهدأ عنده القلب ؛ لأنه أشبه بالرثاء . ولا يخفف منه الاستثناء الذى جاء به فى البيت ، يقول :

فُجِعْتُ بالغُرِّ من أُمَيَّةَ ‏ حَاشَى واحداً نَجْتَلِى بِهِ الظُّلَما
أعنى ابنَ ليلى عبدَ العزيز ببا ‏ بِلْيُونَ تغدو جفانُه رُذُما[2]
يلتفُّ الناسُ حول مِنْبره ‏ إذا عَمُودُ البَرِيَّةِ انهدما
مُجَرَّبُ الحزم فى الأمور ، وإنْ ‏ خَفَّتْ حُلُومٌ بأهلها حَلُما
ينتَهِبُ الحمدَ باليدين كما ‏ ناهَبَ فرسانُ غارةٍ نَعَمَا
أغَرُّ ، أشياخه العُصاةُ ، بَنُو ‏ أُمَيَّةَ ، المُرْغِمُونَ من رَغِما[3]
أشياخ صِدْقٍ نُمُوا بمعتلج الـ ‏ ـبَطْحَاءِ كانُوا لقومهم عِصَمَا
نالوا مواريثَ من جدودهم ‏ فوَرَّثُوها مَرْوانَ والحكَمَا

---

(١) رذما ممتلئة تفيض جوانبها من الشحم .

(٢) الديوان ص ٢٥٥

(٣) بابليون : حصن بناه الفرس، ومازالت آثاره باقية إلى الآن جنوب الفسطاط، واسمه عند العرب قصر الشمع .

أهل الحمالات والدَّسيعَة والـ ... مُفْنُون عند الشدائد البُهَما[١]
اخْتَرتُ عبد العزيز مرتغباً ... والله للمرء خيرُ مَنْ قَسَما
من البهاليل من أميـة ، يز ... داد إذا ما مدحته كَرَما[٢]
لا يحسب المدحة الخداعَ ، ولا ... يُدْرَكُ تيارُه إذا التطما
جاءت به حُرَّةٌ مهذبة ... كلبية كان بيتها دعما

وتدور معانى المدح عنده فى دائرة المتعارف المتفق عليه من صفات الفضل والكرم فى الفرع والأصل ، كما كانت عند أكثر شعراء ذلك العصر .

٤ — عبد الله بن الحجاج[٣] :

شاعر آخر من مادحى عبد العزيز وهو شاعر فاتك شجاع ، من معدودى فرسان مضر ، ذوى البأس والنجدة فيهم ، خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك ، فلما قتل عمرو خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير حتى قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً ، واحتال عليه حتى أمَّنه .

ورحل إلى عبد العزيز ، ومدحه بمصر .

يقول أبو الفرج[٤] : « ونسخت من كتاب ثعلب عن ابن الأعرابى : قال : وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه ، فأجزل صلته ، وأمره بأن يقيم عنده ، ففعل ، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله ، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له ؛ فخرج من عنده غاضبا ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر أن يمنعه عطاءه ، فمنعه ، ورجع ابن الحجاج ، لما أضرَّ به ذلك ، إلى عبد العزيز ، وقال يمدحه ويعتذر :

---

(١) الحمالات جمع حمالة بفتح الحاء = الدية يحملها قوم عن قوم . الدسيعة = العطية العظيمة . البهم جمع بهمة ، وهى صغار الضأن والمعز والبقر .
(٢) البهاليل جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير .
(٣) الأغانى ج ١٢ ص ٢٤ (٤) شرحه ص ٢٩

تركت ابن ليلى ضلّةً وجريمة ... وعند ابن ليلى معقِل ومُموَّل
ألم يهدني أن المُراغَم واسعٌ ... وأن الديارَ بالمقيم تنقَّل[1]
سأُحكِم أمرى إذ بدا[2] لى رُشدُه ... وأختارُ أهل الخير إن كنت أعقل
وأترك أوطاري والحق بامرئٍ ... مُحلِّبُ كفَّاهُ الندى حين يُسأل
أبت لك يا عبد العزيز مآثرٌ ... وجرْىٌ تشأى جرْىَ الجياد،وأول
أبى لك ، إذ أكْدوْا ، وقلَّ عطاؤهم ،
مواهبُ فيّاض ومجدٌ مؤثَّل[3]
أبوك الذى ينميك ، مَرْوانُ ، للعلا
وسعد الفتاة الخالُ ، لا من يُخَوَّل

فقال له عبد العزيز : أما إذ عرفتَ موضع خطائك واعترفت به ، فقد صفحت عنك . وأمر باطلاق عطائه ، ووصله ، وقال له : أقم عندنا ما شئت ، أو انصرف مأذوناً لك إذا شئت .

٥ — كثير وجميل :

ووفد عليه كثير بمصر مراراً . ويروى أنه كان قصيراً لا يزيد طوله على ثلاثة أشبار ، وكان إذا دخل على عبد العزيز يمازحه ويقول له : « طأطئ رأسك لا يصيبه السقف » . ويقال إنه دخل عليه يعوده فى مرضه وأهله يتمنون أن يضحك . فلما وقف عليه قال : « لو أن سرورك لا يتم إلا بأن تَسْلمَ وأسقم ، لدعوت ربى أن يصرفَ ما بك إلى ، ولكنى أسأل الله تعالى لك العافية ، ولى فى

(١) المراغم = الطريق ، يراغم الرجل أهله بسلوكه . أى يفارقهم على رغم أنوفهم .
(٢) رويت « أو » فى الكندى ، وأظنها « إذ »
(٣) شاى = سبق . أكدى = قطع عطاءه وأمسك خيره .

كنفك النعمة » . فضحك عبد العزيز وسُرَّ أهله[١] .

وهو شبيه بما قاله نصيب له عندما زاره وهو مريض[٢] .

وأما جميل بن معمر[٣] فقد أشار فى قصيدته الدالية إلى رحلته إلى مصر ، وإلى تحسر بثينة على فراقه عندئذ ، فقال :

وما أنس مِ الأشياء لا أنس قولها   وقد قرُبت نضْوِى ، أمصرَ تريد ؟

وكان قدوم جميل إلى مصر لمدح عبد العزيز بن مروان ، وإن كانت شهرته فى الغزل غالبة ، وأذن له عبد العزيز ، وسمع قصائده ، وأحسن جائزته . وسأله عن حبه لبثينة ، وأمره أن يقيم معه فى مصر فى منزل أعده له . ولم يلبث جميل إلا قليلا حتى وافته منيته بمصر سنة ٨٢ هـ . ونعى نفسه قبل موته فقال :

بكر النعىُّ وما كنىَ بجميل   وثوى بمصر ثَـوَاءَ غير قُـفُول

قومى بثينة فاندبى بعـويل   وابكى خليلك قبل كل خليل

وليس غريباً أن يجىء هذان الشاعران إلى مصر كما جاء غيرهما ، حيث النعم الغامرة ، والعطاء الجزيل ، والتقدير الصحيح للأدب ، والتذوق السليم لشعره ونثره وأخباره .

وهذه المدائح التى تقدمت فى عبد العزيز متشابهة المعانى والصفات ، مثل كرم الأصل والفرع ، وعلو النفس ، والسخاء ، والجود ، وحسن القول والفعل ، وقد يُمْـدَح بالدين والملك .

ولـكن لـكل من هؤلاء الشعراء فنه وطريقته فى التعبير وأسلوبه الذى يميزه عن غيره . من أجل هذا ظهر كل منهم مستقلا عن غيره ، متميزاً فى فنه وطريقته :

(١) الأغانى جـ ٨ ص ٢٧ ، زهر الآداب جـ ٢ ص ١٦٩

(٢) ص ١٤٤ من هذا الـكتاب .

(٣) الأغانى جـ ٧ ص ٧٩ ، ص ١٠٣ . حسن المحاضرة للسيوطى جـ ١ ص ٣٢٢

يقرأ القارىء شعر الواحد منهم فيشعر بجدة وتنوع واستقلال ، بل إن قصائد الشاعر الواحد تترك مثل هذا الشعور عند القارىء ؛ بسبب مهارة أولئك الشعراء وحسن تصرفهم فى التعبير ، ومقدرتهم على إظهار المعانى فى صورة تزينها موسيقى الألفاظ ، وجمال النغم ، وحسن النظم .

وكثر رثاء عبد العزيز كما كثر مدحه ، بل إن فيمن رثوه قوماً لم نسمع بمدحهم له : ومن هؤلاء ذو الشامة ، محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبه بن أبى معيط ، وقد رثاه ورثى ابنه الأصبغ الذي توفى قبله بشهرين قال[1] .

فما مصرُ لى بعد عبد العزيز والأصْبَغ الخير بالمونقَه
سقى الله قبريهما ، والصَّدى وماجا وَرَا ، دِيْمةً مُغْدِقه
فإن تَكُ مصر أشارت بها إلى الشر يوماً يَدٌ مُوبِقه
فقِدماً تَفَرْ عصر العيو ن فى لذة العيش محدودقه

ورثاها سليمان بن أبى حدير الأنصارى ، ومن ذلك قوله فى عبد العزيز[2]

فمن ذا الذى يبنى المكارم والعلا ومن ذا الذى يهدى له بعدك السفرُ
فكنت حليف العرف والخير والندى فمتن جميعاً حين غيبك القبر

ولقد كان عهد عبد العزيز أزهى عصور الشعر فى عهد الولاة ؛ وكانت شخصيته أكبر مشجع على وفادة أولئك الشعراء ، فلما قل العطاء قلت الوفادة أو انقطعت ، ولم نعد نسمع بها إلا قليلا . وقد يكون ذلك من الأسباب التى هيأت الفرصة فيما بعد لظهور الشعراء المقيمين ، ولعناية الرواة بشعرهم .

(١ ، ٢) الولاة والقضاة ص ٥٦

(د) من عبد العزيز إلى العباسيين .

وروى لنا شعر عربى فى مصر بعد عبد العزيز بن مروان ، بعضه قادم من بلاد أخرى للمدح ، وبعضه مصرى الدار والحوادث والمناسبات ، ولكنه فى جملته شعر ضعيف مقتضب محرف ، احتفظت به كتب التاريخ استشهاداً على حادثة ، أو تأييداً لخبر ، أو دليلا على صدق رواية ، أو بياناً لخلق أحد من الولاة ، أو رثاء لشهيد ؛ أو شبه ذلك مما يهم المؤرخ أن يشير إليه ، ويؤيده بالدليل الأدبى من شعر أو نثر .

ولا نسمع بشاعر قدم بعد عبد العزيز إلا بالحزين الكنانى ، الذى جاء إلى مصر لمدح واليها الجديد عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وليس عبد الله غريباً علينا بعد ما قدمنا من فضله فى نقل الديوان إلى اللغة العربية[١] .

وأما الحزين الكنانى مادحه[٢] فقد اختلف فيه ، فقيل عربى وقيل مولى ، واختلف فى أخلاقه ، فقيل شاعر متكسب ، ينتجع الولاة والأمراء ، يمدح على العطاء ، ويهجو على الحرمان . وقيل إنه لم يبرح الحجاز . واختلف فى شعره ؛ فنسب إليه ونسب إلى غيره ، ومن هذا الشعر قصيدة قيل إنه قالها فى مدح عبد الله بن عبد الملك ، وارتحل بها إليه فى مصر ؛ وقد بدأها بالحديث عن تنقله فى البلاد فقال

الله يعلم أن قد جُبْتُ ذا يَمَن ... ثم العراقين لا يَثْنِينِيَ السَّأَمُ
ثم الجزيرة أعــلاها وأسفلها ... كذاك تسرى على الأهوال بي القدم
ثم المواسمَ قد أوطأتُها زمناً ... وحيثُ تُحْـلق عند الجمرة اللِّمَمُ
قالوا دمشق يُنَبِّيك الخبير بها ... ثم ائتِ مصر فثم النائل العَمَمُ

ثم ينتقل إلى المدح ، ويتحدث عن ممدوحه فيقول :

لما وقفت عليه فى الجوع ضحى ... وقد تعرَّضَت الحجاب والخَدَمَ
حييته بسلام وهو مُرْتَفِق ... وضجَّةُ القومِ عند الباب تزدحم

(١) ص ٩٢ من هذا الكتاب
(٢) الأغاني ج ١٤ ص ٧٦

في كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
ترى رءوس بنى مروان خافضة ... يمشون حول ركابيه وما ظلموا
إن هش هشوا له، واستبشروا جذلا ... وإن همو آنسوا إعراضه وجموا

وأرجح أن تكون هذه القصيدة لمدح عبد الله بن عبد الملك ، وأن شاعرها جواب آفاق منتجع ، دارت به الأيام حتى جاء إلى مصر حيث النائل العمم عند عبد الله . وهو يعرفه من قبل ، حينما ذهب إلى الحجاز ووصاه أبوه عبد الملك بالإحسان إليه ، ولكن من الرواة من يجعل هذه الوفادة على عبد العزيز والمدح له .

ومنهم من روى البيتين السابع والثامن فيها للفرزدق في مدح على زين العابدين .

وقيل كثير من الشعر في هجاء عبد الله ، وذلك أن الطعام غلا في أيامه ، فتشاءم الناس واضطربوا ، فهجاه ابن أبي زمزمة ، فطلبه عبد الله ، فهرب ؛ وبلغ عبد الله أن القاضي عمران بن عبد الرحمن الحسنى ، آواه . وبلغه كذلك أن القاضي قال شعراً يفخر فيه بنفسه وأهله ، وشعراً آخر يهجو فيه عبد الله ، فعزله وولى مكانه عبد الواحد ، حفيد معاوية بن حديج ، وكان شابا ، إلا أنه كان عالما فقيها . فقال عمران يهجو الوالي مرة أخرى[(١)] :

لحا الله قوماً أمروك ، ألم يروا ... بأعطافك التخنيث كيف يريب
أتصرفني جهلا عن الحكم ظالما ... ووليته عجزاً فتاة تجيب
ثكلتك من وال ، وأيضا ثكلته ... ألم يك في الناس الكثير يصيب

هكذا روى هذا الشعر ، وفي البيت الثاني منه هجاء غريب ؛ فقد جعل

---

(١) الولاة والقضاة ص ٣٢٦

القاضي الجديد « امرأة » ولم يسلم البيت نفسه من عيب فني هو الإقواء ، إذ اختلفت حركة الروي في « تجيب » وهو اسم قبيلة ، عن حركة آخر البيت الذي قبلها والذي بعدها .

وكان جزاء القاضي من عبد الله جزاء غريبا ، كما كان طريفا أيضا ، فقد أمر أن يقطع له قميص من قراطيس ، تكتب فيه عيوبه ، ويوقف للناس ، ولكن عبد الله صُرف قبل أن ينفذ هذا العقاب .

وفي سنة ٨٨ هـ خرج إلى أخيه الوليد ، وكان الناس في شدة عظيمة ، فقال زرعة بن سعد الله بن أبي زمزمة الحسني :

إذا سار عبد الله من مصر خارجا فلا رَجَعت تلك البغال الخوارجُ
أتى مصر والمكيالُ وافٍ مُغَرْبَلٌ فما سارَ حتى سارَ والمُدُّ فالِجُ

فأهدر عبد الله دمه ، فهرب إلى المغرب ، وكتب إلى الوليد .

ألا لا تنه عبد الله عني كما قد قال يجعلني نكالا
ولم أشتم لعبد الله عرضا ولم آكل لعبد الله مالا

ويظهر أن عبد الله لم يكن شراً كله ، ولم يكن كل الناس يكرهونه ، فإن الوليد لما عزله ، وولى قُرَّة بن شريك كتب إليه رجل من قريش :

عجبــاً ما عجبتُ حين أتانا أن قد امَّرتَ قُرَّةَ بن شريكْ
وعزلت الفتى المبارَك عنا ثم فَيَّلت فيه رأيَ أبيكْ

وفي ولاية عبد الله بن كنانة نزل الروم بتنيس سنة ١٠١ هـ ، وقتلوا أحمر بن مسلمة المرادي أميرها في جمع من الموالي ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ألم تَرْبَعْ فتخبرك الرجال بما لاقى بتنيس الموالي[1]

---

(١) خطط المقريزي ج ١ ص ١٧٧ .

وكتب يزيد بن عبد الملك إلى حنظلة بن صفوان أن يكسر الأصنام سنة ١٠٤ فكسرت كلها ومحيت التماثيل ، وكسر فيها صنم حمام زبان بن عبد العزيز ، الذى يقال له حمام أبى مرة ، وله يقول كُرَيْبُ بن مخلد الجيشانى :

من كان فى نفسه للبيض منزلة   فليأت أبيضَ فى حمام زَبّان
عَبْلٌ لطيف هضيم الكشح معتدل   على ترائبه فى الصدر ثديان

وعرف الناس مكاييل مصر واطمأنوا إليها ، حتى كان عهد هشام بن عبد الملك(١) فبعث بالمدى إلى مصر ، وأمرهم أن يتعاملوا به ، فقبله بعض الناس ، وأباه المعافر ، وكسره واحد منهم ثم قال . إن لنا ويبة وإردباً قد عرفناهما ، ولسنا نحتاج إلى هذا .

وقال شاعرهم : يفتخر .

قومى الذين تبادروا   مُدْىَ الخليفة بالحجر
وتحزبوا وتعصبوا   وجَثَوا عليه فانكسر
من بعد ماذلت له   أعناقُ يَعْرُبَ أومضرَ

ولما استخلف هشام ولى يحيى بن ميمون بن ربيعة الحضرمى قضاء مصر ، وكان كتابه متهمين بالرشوة ، وعرف بذلك فلم يعزل أحداً منهم ، وكان قد ولى عريفاً من العرفاء أمر يتيم من قومه ، وتظلم اليتيم من العريف بعد البلوغ زماناً ، وجاء ببينة من قومه ، فلم ينصفه يحيى ، فكتب إليه مسجلا الحادثة بالشعر :

ألا أبلغ أبا حسان عنى   بأن الحكم ليس على هواكا
حكمت بباطل ، لم تأت حقاً   ولم يسمع بحكم مثلُ ذاكا
وتزعم أنها حق وعدل   وأزعم أنها ليست كذاكا

---

(١) الولاة والقضاة ص ٧٢ .

ألم تعلم بأن الله حـــق وأنك حين تحكم قد يرا كا

فبلغه الشعر ، فسجن اليتيم ، فرفع أمره إلى هشام ، فعظم ذلك عليه ، وكتب إلى الوليد بن رفاعة يصرفه[1] .

وقال سعيد بن شريح مولى تجيب يهجو حفص بن الوليد ، والى مصر لمروان ابن محمد ، وكان سعيد منقطعاً إلى زبان بن عبد العزيز بن مروان .

يا باعث الخيل تردَى فى ضلالتها من القطم فى أكناف حلوان

لا زال بغيضىَ ينمى فى صدوركم إذ كان ذلك من حبى لزبان

وكان زبان بن عبد العزيز شديد التحريض على حفص بن الوليد حتى قتله الحوثرة بن سهيل الباهلى والى مصر لمروان سنة ١٢٨ هـ .

وقال مسرور الخولانى يرثى ويحذر :

فإياك لا تجنى من الشر غلظة فتودى كحفص أو رجاء بن الأشيم

فلا خير فى الدنيا ولا العيش بعدهم فكيف وقد أضحوا بسفح القطم[2]

وقال ابن ميادة المرى يحبذ فعل حوثرة :

لقد سرنى ، إن كان شىء يسرنى مُغَـارُ ابن هبار على بلخَ والسَّـفرُ

---

(١) ص ٣٤١

(٢) رجاء بن الأشيم : كان والياً على الصعيد لحفص بن الوليد فى ولايته الثانية . زمن يزيد بن الوليد (ص ٨٤ : الولاة والقضاة) ولما قدم حنظلة بن صفوان من إفريقية ، وولاه مروان بن محمد ، أبى المصريون ذلك وثاروا . ومضى إليه رجاء بن الأشيم بالجيزة ، فأخرجه إلى الحوف الشرقى . ولما ولى حوثرة بن سهيل لمروان بن محمد أمن أهل مصر . واستدعى من دخل فى الطاعة أن يقابله فى ردائه . فخشى ذلك رجاء بن الأشيم ، وقال لحفص بن الوليد : دعنى أقف فى جبـــل لأرى ما يصيبك . فأبى حفص . ثم ذهب إليه حفص ورجاء . فقيدهما ، ثم طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له ، فقتلهم سنة ١٢٨ وفيهم رجاء بن الأشيم ، وعقبة بن نعيم الرعينى ، وعمرو بن يزيد الشيبانى وفهد بن مهدى ، وابن السليط (ص ٩٠ الـكندى)

وحوثرة المُهدى بمصر جيـــاده وأســـيافه حتى استقامت له مصر

وقال مرسل بن حمير يبكى حفصاً وأصحابه :

يا عين لا تبقى من العـــبرات جودى على الأحيـاء والأموات
يا حفص يا كهف العشـيرة كلها وأخا النوال وســـاتر العورات
إما قُتِلْـتَ فأنت كنت عميدهم والـكهف للأيتـــام والجارات
أودى رجاء ، لا كمثـل رجائنـا رَجُـلٌ ، وعقبةُ فارج الـكُـرُبات
وشبابنا عمرٌو وفَـهْدٌ ذو الندى وابن السليط وعامرُ الغـارات
قُتِـــلوا ولم أسمع بمثل مصابهم سرواتُ أقوامٍ بـنُو سروات

وقدم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية هارباً من جيوش العباسيين (يوم الثلاثاء ٢ شوال سنة ١٣٢) فوجد أكثر الناس قد « سـودوا » ؛ وأمر باحراق الدار المذهبة ، فقال له زبان بن عبد العزيز : إنها دار بنى عبد العزيز ، وقد أعظمت فيها النفقة . فقال مروان : إن أبق أبنها لبنة من ذهب ولبنه من فضة ، وإلا ،فما تصاب به من نفسك أعظم . ثم دخل مروان إلى الجيزة وحرق الجسرين ، فقال عيسى بن شافع يبكى الدار المذهبة ، وهو شعر ملىء بالحسرة ، على قلته :

يا طللا أقوى وحل البِـــلى منـه لدى العُلو وفى السُّـفل
قد كنت مَغْـنًى لعيون المَـهَا وكنت مأوى لظِـبَا الرمـــل
وكان أربابك ما إن لهم فى الناس من نوع ولا شـكل

وقتل مروان ببوصير من كورة الأشمونين ، ٢٣ ذى الحجة سـنة ١٣٢ ، ودخل صالح بن على[1] الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ١٣٣ .

---

(١) الولاة والقضاة ص ٩٥

ولهذه الأبيات الأخيرة قيمة فى تاريخ الأدب ، لما فيها من اتجاه غير مألوف فى الشعر ، وهو رثاء القصور التى أخنى عليها الزمن ، وبكاء الآثار التى تبدل عزها ذلا ، وصار عامرها خرابا . ورأينا له صدى بعد ذلك فى رثاء البحترى لإيوان كسرى ، وفى رثاء شعراء الطولونيين لمغانيهم ومرابعهم ، وقصورهم وميادينهم ، وفى بكاء شعراء الأندلس على آثارهم التى أبادها الفاتحون الإسبان .

وليس ذلك من نوع الوقوف على الأطلال والدمن الذى رأيناه فى الجاهلية وبعدها ؛ لاختلاف الباعث ، وهو العظة والاعتبار فى الأول ، وذكرى الأحباب فى الثانى . وقد صار هذا الأخير تقليداً عند بعض الشعراء ، يرونه حتما لازماً فى أول القصائد : جرياً على الطريقة العربية القديمة .

هذا هو الشعر العربى فى مصر زمن الأمويين ، وهو قسمان كما رأيت :

قسم منه وافد زائر للمدح والثناء ، وأكثر مابقى لنا منه ظهر فى عهد عبد العزيز بن مروان ، وهو شعر طابعه التقليد فى المعانى . أما الأسلوب فكان فيه استقلال وذاتية .

والقسم الثانى شعر المقيمين ، وهو أقل ما بقى وأضعفه : وفيه كثير من التحريف والتبديل ، ولكنا نلمح فى ثناياه استقلالا فى المعانى والأسلوب ، وفى رجاله استقلالا فى الرأى وحرية فى التعبير والنقد ، فغلب عليه الهجاء واللوم . وليس فى هولاء الشعراء شاعر محترف ، فكان هذا الشعر ، على قلته وضعفه ، نتيجة وحى خاص ، وشعور مستقل ، وتجارب ذاتية . وهو « شعر مناسبات » ، ولكنه من النوع الذى تثيره أحوال وظروف خاصة ، تؤثر فى الشاعر ، فتطلق لسانه بالتعبير عما يملأ نفسه ، وليس من ذلك النوع الذى يقوله الشعراء للمجاملات أو للشهرة ، بغير وحى من الشعور والعاطفة .

وربما كان اتجاه هذا الشعر إلى الحياة العامة ، واتخاذه سجلا للحوادث وتطورات التاريخ ، سبباً فى ضياعه وعدم اهتمام الرواة به ، بجانب ضعفه وعجزه عن منافسة شعر الحجاز والشام والعراق ، الذى تجمعت له العوامل الفعالة للبقاء والشهرة وأقواها السياسة .